خاتمـــــــة :

يمكن ان نجمل ما تقدم عن ابن سينا ومناهجه فى عبارات قليلـــــة تتضمن تمسك وشغف ابن سينا واستخدامه للمنهج العلمى وتحقيق الملاحظـــة أو المشاهدة أو المعاينة وفحصه للدلائل والعلامات وتفرقته بين الامراض ـ والاسباب والاشخاص والاجناس والاعمار والمساكن تفرقة قوامها التجربـــــة والمشاهدة .. ففى ملاحظاته الاكلينيكية الشمولية الدقيقة يبرز لنا قوته فـــى المقارنه وفى صدق الحكم وتمكنه وقدرته على تمييز الدلائـــل والعلامـــات وتقويمها . مما يجعله مستحقا لما يقال عنه انه انتهج فى بحوثه الطبيـــــة منهجا اسلمـــه الى نتائج صحيحة غالبا وان كانت مناهجه مستورة او مضمـــرة فى ثنايا بحوثه الطبيـــة .

حيث ضرب بسهم وافر فى مضمار المعرفة الطبية والممارسات العلاجية والتشخيصية او التفسيرية مما يؤكد انه احكم فهم كثير من جوانب الطبيعـــــة البشرية وكان له فضل السبق فى ادراك كثير من الامراض الجسمية والعقليـــة والنفسية الخطيرة ، والوقوف على اسبابها واعراضها وعلاماتها ومناهج تشخيصهـــا وعلاجها لما امتاز به شيخنا الرئيس ابن سينا من الدقة والموضوعية والبعـــــد عن الخرافة والدجل والشعوذة مما جعل اكثر افكاره مازالت تعيش عصرنـــــا الحالى .

حيث استخدم منهج التدرج فى العلاج ، وعرف كيفية انتقال الامـراض واستخدم ما يعرف فى عليـــم النفس الحديث بمنهج المقابلة الشخصيـــــة الاكلينيكيـــة وضرب امثلة توضيحية للاعراض والمخاوف التى قد تظهر علـــــى المريض ، كما كان يستشهد باقوال غيره من الاطباء فى بعض موضوعـــــات الطب وتلك سمة من سمات العلماء .

كما استعمل التعريف والتصنيف والوصف والمقارنة والتمييز بين الامراض المتشابهة مستخدما القسمة الثنائية والثلاثية والرباعية عندما اخذ بالتقسيم القديم لطبائع البشر حيث ردد ما قاله هيبوقراط من ان الناس انماط اربعة طبقا لغلبة احد عناصر الدم ، الصفراء والسوداء او البلغم واللينفاوى .

كما ادرك الاتجاه المتعدد العوامل فى تفسير وتشخيص الامراض بان ارجع اسباب الامراض الى اكثر من سبب واحد ، كما استخدم القضايا الشرطية المتصلة والمنفصلة والقضايا العلية فى شرح وتفسير الامراض على نحو ما ورد فى صلب هذه الرسالة .

وقد ادرك ابن سينا كيفية تحول بعض الامراض الى امراض اخرى .

واستخدم كل مقومات المنهج التجريبى كالملاحظة او المشاهدة بانواعها الكيفية والكمية والشمولية وفكرة فرض الفروض والتحقق من صحتها او بطلانها ثم الوصول الى القانون الكلى فى مجال المعالجات .

كما بلغت فطنة الشيخ الرئيس انه كان يستنبط من خلال الملامح الظاهرة على مريضه الامراض الكامنة والتى لم تظهر بعد على المريض ، ومعنى هذا الانتقال من المعلوم الى المجهول وتلك ماهية الاستقراء .

كما احكم فهم ما يعرف اليوم باصطلاح "التشخيص الفارق" بين الامراض شديدة التشابه ، كما ادرك الفروق الفردية بين الناس من حيث قابليتهم للشفاء اوعدمه وادرك الفروق الفردية مبدأ طبى وتربوى حديث بالغ الاهمية وله تطبيقاته الواسعة كما ميز بين طائفة من الرجال المخنثين ، وفرق بين الرجال والنساء وبين اصحاب الاعمار المختلفة فى درجة الاصابة بالمرض وهذا مبدأ من مبادى الطب الحديث .

كما حاول تقييم الصفات الشخصية من خلال السمات الخارجية مستخدما منهج الفراسة .

وكذلك كان يتعرف على نوع الاصابة من " زملة الاعراض " أى مجموعة الاعراض التى توجد فى الغالب فى مرض معين.

وكان يستدل عن طريق فحص البول من حيث قلته وكثرته ورائحته ،ولزوجته ولونه .... الخ .

ولقد أخذ من الاحلام دلائل على وجود بعض الامراض ، مدركا دور الخيال اثناء النوم ونقص التخيل او ضعفه او بطلانه فى الاحلام. كما ربط بين سلامة الاعضاء وفعالها كما هو الحال بين دماغ الانسان وسلوكه وربط بين المرض العقلى والمرض الجسمى ، فانه كان يرى فى الجسم الانسانى وحدة متكاملة متفاعلة وطبق هذا المبدأ فى المجال الطبى .

كما لاحظ الربط بين كثرة الاكل والنوم العميق وكان مؤمنا باثر انتقال المرض من عضو الى آخر . مدركا العوامل الاستعدادية للاصابة بالامراض العقلية والنفسية والجسمية ، بمعنى ان يرث الانسان الاستعداد والتهيؤ اللذين يؤديان الى اصابته بالمرض . وفطن الشيخ الرئيس الى الخداع الحسى او ما اسماه بالاعراض المعرفية كما فسر ظاهرة الماشوسية .

وكان له فضل السبق فى ادراك اثر حوادث الطفولة فى احداث الاصابة بالامراض العقلية ، كما عرف قلق الموت كما استخدم الارشاد النفسى والتوجيه والتوعية لمساعدة المرضى على فهم انفسهم ، كذلك اوصى مرضاه بعدم القيام ببعض الانشطة ، وكذلك عدم تناول الاطعمة والاشربة مما يدخل الآن فى دائرة الطب الوقائى . كما كان حريصا على معالجة المرض فى بدايته مع رفع الروح المعنوية لمرضاه . فضلا على اعتماد ابن سينا على التجربة واشارته الى منهج دراسة الحالة واستخدم ما يسمى الآن الاعلاء أو التسامى بدوافع الفرد وغرائزه ـ وميوله العدوانية والحيوانية لامتصاص فائض طاقاته وتصريفها عبر القنوات الشرعية والانشطة الايجابية النافعة مطبقا منهج العلاج السلوكى .

وادرك فكرة التعويض وطبقهـا ، وفطن الى الاشتراط واعادة الاشتراط فـى العلاج السلوكى ، كما استخدم العلاج بالتنفيز . وفى معرض معالجتـه لصعوبات النطق والكلام اشار الى ضرورة تدريب الطفل على الكلام او النطـق السليم الواضح مدركا اثر التعليم الخاطىء فى تثبيت عادة النطق غيـر السليم .

ولقد ادرك خطورة الاصوات العالية على سلامة ووظائف الاذن ويمكـن القول بانه عالج بالتنويم المغناطيسى وكذلك غسل المخ والاقناع فى تغيـر اتجاهات وعواطف المريض .

كما استخدم التدليل وصب الماء كنوع من العلاج الطبيعى كما استعمـل الكى وفطن الى العلاج عن طريق الاكل والعلاج الوضعـى والعلاج بالعقـاب والفصد والاستفراغ ..... الخ .

واستخدم التعميم فى علاج الامراض المتشابهة ، حيث كان يصـف الدواء الواحد للامراض المتشابهة .

وفى مبحث العلية او السببية ارجع اسباب الاصابة بالامراض الجسميـة والعقلية والنفسية الى اسباب عضوية واشار الى المالنخوليا العضوية .

كما تحدث عن سبب السبب حيث كان السبب عنده يمكن ان يكون سببـا لاكثر من مرض . وقد يتحول السبب او العرض او المرض بالقياس الى نفسـه او الى شىء قبله او بعده الى مرض او عرض او سبب كما فى حالة الوجـع الذى قد يصير سببا للورم وقد يتحول العرض نفسه الى مرض مثل الصـداع الحادث عن الحر يمكن ان يستقر فيصبح مرضا وقد يؤدى مرض الى الاصابة بمـرض اخر فيكون الاول سببا فى حدوث الثانى .

ومعنى ذلك ان العلة تتبع المعلول وجودا وعدما بمعنى دوران العلـة مع المعلول .

كما يدل هذا على تسلسل العلية وهكذا تبدو الخبرة المنطقية والروح المنطقي في فكر ابن سينا او ممارسته الطبية لقد استوعب كل فنون الطب في عصره واستفاد من سابقيه واستعمل الادوية التي مدحها القدماء وعرف انواع الحيوانات التي كرهها اهل العلم من الاطباء كما عرف كيفية استخراج الجنين الميت ، واخذ عن جالينوس ملاحظته الاظطرابات التي تحدث للنبض .

ومما لا شك فيه ان هذه الاعمال الخالدة ، وغيرها تكشف عن عظمة وعراقة الامة العربية وامجادها ..

الامر الذي يدعونا الى العمل الجاد والمستمر والموصول لاعادة هذه الامجاد والانتصارات حتى نحتل المكانة اللائقة بنا كأمة صاحبة حضارة عريقة ونجد لنا مكانا تحت الشمس .